من مشكل عود الضمير في القرآن الكريم

د. اسعد عبد العليم
استاذ مساعد
جامعة الانبار- كلية الامام الاعظم

الملخص
إن عود الضمير من الموضوعات الهامة التي تستحق التأمل والتنقيب لاسيما إذا كان مرتبطا بالقرآن الكريم ؛لانه يسهم في إظهار هذا الكتاب بإسلوب رائع وصياغة عجيبة ولغة عالية فقد يظهر احيانا للناظر المبتدىء ان هذا الضمير او ذاك مشكل من حيث عوده لكن سرعان مايجد بعد التدقيق والتأمل ان هذا الضمير وضع في مكانه وانه لو وضع ضمير اخر لما اعطى هذه الجمالية وتلك الدقة في الاسلوب والروعة في الصياغة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين ومن سار على منهجهم إلى يوم الدين .
وبعد :فإنَّ عود الضمير من الموضوعات الهامة التي تستحق التأمل والتنقيب لاسيما إذا كان مرتبطاً بالقرآن الكريم ؛ لأنَّهُ يسهم في إظهار هذا الكتاب بإسلوب رائع وصياغة عجيبة ولغة عالية فقد يظهر أحياناً للناظر المبتدئ أنَّ هذا الضمير أو ذاك مشكل من حيث عودهُ لكن سرعان ما يجد بعد التدقيق والتأمل أنَّ هذا الضمير وضع في مكانه وأنَّه لو وضع ضمير آخر لما أعطى هذه الجمالية وتلك الدقة في الأسلوب والروعة في الصياغة .
واقتضت خطة البحث أن تقسم على مباحث عدة على الشكل الأتي :-
١-عطف الظاهر على الضمير ، ٢- توكيد الضميرين ، ٣- وضع الظاهر موضع المضمر وبالعكس ، ٤- الألتفات ، ٥- عود الضمير على أوجه ، ٦- توحيد الضمير وجمعه ، ٧- تذكير الضمير وتأنيثه ، ٨- ذكر الضمير وحذفه ، ٩- إيثار ضمير على ضمير أخر.

ثم أتبعتهُ الخاتمة لخصت فيها أهم ما توصلت أليه من نتائج بعدها ثبت المصادر والمراجع .

ختاماً أسأل الله أن يكون عملاً متقبلاً (وَآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

أولاً : عطف الظاهر على الضمير
لو تتبع القارئ قوله تعالى :﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ()قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾[1] .

انظر على قوله : ﴿ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ فقد أظهر لفظ الجلالة في الآية الأولى عند بدء إذ قال : ﴿ كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ﴾ وعند الإعادة نجد أن لفظ الجلالة أُضمر .
أما الآية الثانية فاننا نجد أن لفظ الجلالة أضمر وأظهر عند النشاة إذ قال : ﴿ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ﴾ .
وكان القياس أن يقول : كيف يُبدئ الله الخلق ثم يُنشيءُ النشأة الأخرة ففيه عطف المظهر على ضميره والإفصاح به بعده وذلك لأنهَّ في الأية الأولى لم يسبق ذكر الله بفعل حتى اسند إليه البدء فقال : (كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ) ثم قال : (ثُمَّ يُعِيدُهُ) فلم يحتج إلى إظهار اسم الله تعالى
أما الأية الثانية كان ذكر البدء مسنداً إلى الله فاكتفى به ولم يبرزه وأما إظهاره عند الإنشاء ثانياً مع إنه كان يكفي أن يقول : (ثُمَّ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَة) فالحكمة بالغة قلّ من يتفطن إليها وهي أن مع إقامة البرهان على إمكان الإعادة أظهر أسماً من يفهم المسمى به بصفات كماله ونعوت جلاله يقطع بجواز الإعادة فقال الله مظهراً مبرزاً ليقع في ذهن الانسان من إسمه كمال قدرته وشمول علمه ونفوذ إرادتهِ ويعترف بوقوع بدئه وجواز إعادته[٢]ويتسائل الإمام الرزي عن سر إظهار لفظ الجلالة في الإعادة فلم يقل ثم الله يعيده وسر ذلك عنده[٣] يعود لوجهين :
أحدهما : أنَّ الله كان مظهراً مبرزاً بقرب منه وهو في قوله : ﴿ كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ ولم يكن بينهما إلا لفظ الخلق ، وأما هنا فلم يكن مذكوراً عند البدء فأظهرهُ .
ثانيهما : أن الدليلَ هنا تم على جواز الإعادة ؛ لأنَّ الدلائل منحصرة في الآفاق وفي الأنفس كما قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِم﴾[4] في الآية الأولى أشار إلى الدليل النفسي الحاصل لهذا الإنسان من نفسهِ وفي الآية الثانية أشار إلى الدليل الحاصل من الآفاق بقوله : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ[5] ﴾ وعندهما تم الدليلان ؛ فأكدهُ بإظهار أسمه ، وأما الدليل الأول فأكدهُ بالدليل الثاني ، فلم يقل ثم الله يعيدهُ .
أما ابن الأثير فعلّل فائدة ذلك الإظهار للفظ الجلالة وإضماره قي قوله تعالى : (ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَة) وكان القياس أن يقول : كيف يبدء الله الخلق ثم ينشئ النشأة الأخرى . فقال : "والفائدة في ذلك أنه لما كانت إلا عادة عندهم من الأمور العظيمة ، وكان صَدُر الكلام واقعاً معهم في الإبداء ، وقرّرلهم أنَّ ذلك من الله ، احتجّ عليهم بأنَّ الإعادة إنشاء مثل الإبداء ، وإذا كان الله الذي لا يعُجزهُ شيء هو الذي لا يعجزه الإبداء فوجب أن لا تُعجزه الإعادة فللدلالة والتنبيه على عظم هذا الأمر الذي هو الإعادة أبرز أسمه تعالى وأوقعهُ مبتدأ ثانياً[٦])) .
-ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرىً وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [٧]
نجد أنَّ القرآن الكريم قال : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ولم يقل : وقالوا كما سبق في الآية الكريمة إذ قال : ﴿ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ﴾ وقال : ﴿ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرىً ﴾ وسر ذلك للدلالة على صدور عن إنكار عظيم ، وغضب شديد ، وتعجب من كفرهم بليغ ، لاسيما وقد إنضاف إليه قوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ وما فيه من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه ، وما في ذلك من المبادهَة ، كأنَّهُ قال : وقال أولئك الكفرة المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق المبين قبل أن يتدبروه : إن هذا إلا سحر مبين[٨].
إذن هذا الذي ذكرناه نكتٌ من اسرار القرآن الكريم إذ إنه لا يفتق إلا لذوي العقول الراجحه .

ثانياً : توكيد الضميرين

عند تحليل ما جاء في القرآن الكريم في هذا المبحث نجد أنه قد أخذت أشكالاً يصعب على المارّ سريعاً أن يدرك أسرار بنائها ، إذ المعنى المقصود ثابت في النفوس لا شك فيه ولكن تأتي صيغة أخرى لتقريره وتثبته في النفس .

ومعنى هذا المصطلح وهو توكيد الضميرين : أن يؤكد المتصل بالمنفصل ، كقولك : إنك انتَ، أو يؤكدّ المنفصل بُمنفصل مثلِهِ كقولك : أنت أنت أو يؤكد المتصل بمتصل مثله ، كقولك : إنك إنك لعالم ، أو إنك إنك لصائم ، وقد يأتي بمثل هذا التوكيد في القرآن الكريم لسر من إسرار علم البيان .

- من ذلك قولهِ تعالى : ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى()قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ فأكد بضميرين المتصل بالمنفصل وتوكيد الضميرين هنا في قولهِ : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ أنفى للخوف من قلب موسى وأثبت في نفسهِ للغلبة والقهر ، ولو قال : ((لا تخف إنك الأعلى)) أو ((فأنت الأعلى)) لم يكن له من التقدير والإثبات لنفي الخوف ما لقوله : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ .

وفي هذا الكلمات الثلاث ، وهي قوله : إنك ، أنت ، الأعلى ، ست فوائد هي :-

١. ((إنَّ)) المشددة التي من شأنها الإثبات لما يأتي بعدها وتوكيده وقد نص علماء المعاني على أنَّ الخبر يكون مع (إنَّ) طلبياً أو إنكارياً لا إبتدائياً ، كقولك : زيد قائم ثم تقول : إنَّ زيداً قائمٌ ففي قولك : إنَّ زيداً قائم ، من الإثبات لقيام زيدٍ ما ليس في قولك : زيدُ قائمٌ .
٢. تكرير الضمير في قوله : ﴿إِنَّكَ أَنْتَ ﴾ ولو اقتصر على أحد الضميرين لما كان بهذه المكانه في التقدير لغلبة موسى والإثبات لقهره .
٣. لام التعريف في قوله : ﴿ الْأَعْلَى﴾ ولم يقل : ((أعلى)) ولا ((عالٍ)) ؛ لأنهُ لو قال ذلك لكان قد نكرّه ، وكان صالحاً لكل واحدٍ من جنسهِ ، كقولك : رجل ؛ فإنه يصلح أن يقع على كل واحدٍ من الرجال ، وإذا قلت : الرجل فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف وجعلته علماً فيهم وكذلك جاء قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾، أي : دون غيرك .
٤. لفظ (أفَعَل) الذي من شانه التفضيل ، ولم يقل ((العالي)) فهو أعلى من كل عالٍ .
٥. إثبات الغلبة له من العلو ؛ لأنَّ الغرض من قوله : ﴿ الْأَعْلَى﴾ أي : الأغلب إلا أن في الأعلى زيادة وهي الغلبة من عالٍ .
٦. الاستئناف وهو قوله تعالى : ﴿ لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ ولم يقل : لأنك أنت الأعلى ، لأنه لم يجعل عليه انتفاء الخوف عنه كونَهُ عالياً ، وإنما نفي الخوف عنه أولاً بقوله : ﴿ لا تَخَفْ﴾ ثم استأنف الكلام فقال : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ فكان ذلك أبلغ في إيقان موسى ﴿﴾ بالغلبة والإستعلاء ، واثبت لذلك في نفسه[٩] .

والذي اراه أن اكلام جاء على قدر الشك الموجود عند المخاطب ، فالشك قد بلغ حداً عظيماً عند موسى ﴿﴾ لخوفه من عدم الغلبة ، فجاء الكلام مؤكداً بأكثر من مؤكد وذلك لتطمين موسى وإزالة الخوف عنه وبأنه هو الغالب .

وربما وقع لبعض الأغمار أن يعتمد على ما ذكرناه في توكيد أحد الضميرين بالأخر ، فيقول: لو كان توكيدهما أبلغ من الاقتصار على أحدهما لورد ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه حيث هو أولى بما هو أبلغ وأوكد من القول ؛

وقد رأينا في القرآن الكريم مواضع تختص بذكر الله تعالى ، وقد ورد فيها أحد الضميرين دون الآخر كقوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١٠] ولم يقل : إنك أنت على كل شيء قدير ؛ فما الموجب لذلك إن كان توكيد أحد الضميرين بالآخر أبلغ من الاقتصار على أحدهما ؟

ويتصدى للإجابة على هذا السؤال ابن الأثير فيقول :

((الجواب على ذلك أنّا نقول : قد قدَّمنا القول في أول هذا النوع أنَّهُ إذا كان المعنى المقصود معلوماً ثابتاً فصاحبُ الكلام مخيّر في توكيد أحد الضميرين بالآخر ، فإن أكّدَ فقد أتى بفضل بيان ، وإن لم يؤكد فلأنَّ ذلك المعنى ثابت لا يفتقر في تقريره إلى زيادة تأكيد كهذه الآية المشار إليها وهي قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ فإن العلم بأنَّ الله على كل شيء قدير لا يفتقر إلى تأكيد يقرَرّه ......

وأما إذا كان المعنى المقصود غير معلوم ، وهو مما يُشك فيه ، فالأولى أن يؤكد بالضميرين في الدلاَّلة عليه كقوله تعالى : ﴿ قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ فإنَّ موسى لم يكتف متيقناً أنه غالب للسحرة فلذلك أكد خطابه بالضميرين ليكون أبلغ في تقرير ذلك في نفسه))[11] - من ذلك قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾[12] فنجد أنَّهُ عبر الضمير المتصل وأكده بالضمير المنفصل فقال : ﴿ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ ؛ لأن إرادة السحرة الإلقاء قبل موسى لم تكن معلومة عنده ؛ لأنهم لم يصرحوا بما في أنفسهم من ذلك : لكنهم عدلوا عن مقابلة خطابهم موسى بمثله إلى توكيد ما هو مهم بالضميرين اللذين هما ((نَكُونَ)) و ((نَحْنُ)) دل ذلك على أنَّهم يريدون التقدم عليه والإلقاء قبله ؛ لأنَّ من شأن مقابلة خطابهم موسى بمثلِهِ إن كانوا قالوا : إما أن تُلقي وإما أن نلقى ، لتكون الجملتان متقابلتين ، فحيثُ قالوا عن أنفسهم : ﴿ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ استدل بهذا القول على رغبتهم في الألقاء قبله[13] .

ثالثاً : وضع الظاهر موضع المضمر وبالعكس

يكثر وضع الظاهر موضع المضمر وبالعكس في القرآن الكريم كثرة يلحظها المتتبع للأساليب وذلك في مقام ذكر الكفار والظالمين ومجترحي السيئات إظهاراً للغضب عليهم والتنويه بذمهم وتهجين أحوالهم .

مثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ[14]﴾ أنظر كيف عبر بقوله : ﴿ وَقَالَ الْكَافِرُونَ ﴾ ولم يقل : قالوا .

والزمخشري تطرق إلى هذه المسألة فقال : ﴿ وَقَالَ الْكَافِرُونَ ﴾ ولم يقل : قالوا ، إظهاراً للغضب عليهم ، ودلالة على أنَّ هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً[15]﴾ وهل ترى كفراً أعظم وجهلاً أبلغ من أن يسموا من صدّقه الله بوحيه كذباً ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره ، ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحتهِ))[16] .

ومثل وضع المضمر موضع الظاهر قوله تعالى : ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ[17]﴾ فقوله : ﴿ فَارْتَقِبْهُمْ ﴾ ولم يقل ((فارتقب العذاب)) إشارة إلى حسن الأدب والاجتناب عن طريق الشر وقوله تعالى : ﴿ وَاصْطَبِرْ ﴾ يؤيد ذلك المعنى إن كانوا يؤذونك فلا تستعجل لهم العذاب ، ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى قرب الوقت إلى أمرهم والأمر بحيث يعجز عن الصبر[18] .

وأرى هنا أن الاختصار هو سمة من سمات العربية إذ الضمير يغن عن التصريح بالاسم وما ذاك إلا لأنَّ الاختصار أولى من اكثار الكلام ، فإذا فُهِم المعنى قلّ اللفظ كما أنَّ سياق الآية من أولها تجد أنه أضمر الذكر للمكذبين وما يحلُ بهم وسارت السورة على ذلك فتراه يقول : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ وَكَذَّبُوا....) وسرت السورة على هذا المنوال ولهذا أضمر ذكر العذاب لهؤلاء المنكرين والمكذبين جرياً على سنن وجّو السورة .

رابعاً : الإلتفات

إنَّ ايقاظ النفس وتحريكها هو من أهم أغراض الكلام البليغ ، ولذا كانت خصائص الصياغة تستلزم إحداث لون من التأثير في الملتقي وهذا ما يحرص عليه المتكلم الأديب ، ويدرك أهل البلاغة والعلم أن تحريك أوتار النفس لا يتأتى إلا بما يثيرها من حيث البلاغة .

ومن ذلك التنوع في الأسلوب فلا يبقى على وتيرة واحدة أو نسق واحد في الخطاب فتظفى الرتابة والملل فينبغي أن ينوع الخطاب فتارة يأتي بأسلوب التكلم وتارة بالخطاب وتارة أخرى على الغائب وهذا

التنوع ينبغي أن يكون لغرض يقصده المتكلم ليخدم السياق ، والبلاغيون درسوا هذا الباب ونبهوا عليه منذ زمن بعيد والواقع إنهم لم يلتفتوا إلى قيمتهِ البلاغية عند المتكلمين[١٩] .
مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ()الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ()مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ()إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إذ عدل عن الغيبة إلى الخطاب بقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بعد قوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ؛ لأنَّ الحمد دون العبادة في المرتبة .
الاتراك تحمد نظيرك ولا تعبده ؟ فلما كانت الحال كذلك استعمل لفظ ﴿الْحَمْدُ﴾ لتوسطه مع الغيبة في الخبر ، فقال : الحمد لله ، ولم يقل : الحمدُ لك ، ولما صارَ إلى العبادة التي هي أقصى الطاعات قال : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ فخاطبَ بالعبادة إصراحاً بها ، وتقرباً منه عز أسمه بالانتهاء إلى محدود منها[٢٠] .
وهناك عدل من نوع آخر من الخطاب إلى الغيبة من ذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [٢١]وسر هذا الألتفات لوجوه.

١. أنه لما كان المسيرون في البر والبحر مؤمنين وكفاراً ، والخطاب شامل لهم جميعاً من خطابهم بذلك ؛ لسيستديم الصالح الشكر ، ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيتهيأ قلبهُ لتذكر وشكر مسنديها ، ولما كان في آخر الآية ما يقتضي أنهَّم إذا نجوا بغوا في الأرض عدل عن خطابهم بذلك إلى الغيبة ؛ لئلا يخاطب المؤمنين بما لا يليق صدوره منهم ، وهو البغي بغير الحق هذا وجه .
٢. ذكر الزمخشري فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة في هذا الموضوع فقال : ((المبالغة ، كأنهُ يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح))[٢٢] .
٣. إن مخاطبته تعالى لعبادهِ هي على لسان الرسول -عليه الصلاة والسلام- فهي بمنزلة الخبر عن الغائب . وكل من أقام الغائب مقام المخاطب حَسُنَ منه أن يرده مرة أخرى إلى الغائب[٢٣] .
٤. ذكر الرازي أن الانتقال من مقام الخطاب إلى مقام الغيبة في هذا المقام دليل المقت والتبعيد كما أن عكس ذلك في قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ دليل الرضا والتقريب[٢٤] .

خامساً : عود الضمير على أوجه

الضمير لابد له من مبين يبين ما يراد به ، فإن كان المتكلم أو مخاطب فمفسرهُ حضور من هو لهُ ، وإن كان لغائب فمفسره لفظ أو غيره . ولكن القرآن الكريم جاء بما يشعر بعود الضمير على غير ما سبق في بعض المواطن .
مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [٢٥] والضمير هنا في ﴿ أَنْزَلْنَاهُ﴾ هو عائد على القرآن الكريم ، أي : إنَّا أنزلنا القرآن في ليلة القدر ولم يسبق ذكره ، وترك ذكره ولم يصرح به للعلم به[٢٦] ؛ ولأنَّ هذا التركيب يدل على عظم القرآن الكريم من ثلاثة أوجه :

١. أنَّهُ أسند إنزاله إليه وجعله مختصاً به دون غيره .
٢. أنَّه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التصريح .
٣. تعظيم الوقت الذي انزل فيه[٢٧].

ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [٢٨]فالضمير في توارت لم يصرح به كذلك قال : ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾[٢٩] .
والضمير في ﴿ رُدُّوهَا﴾ لم يعد إلى اسم صريح متقدم وعود هذا الضمير يحتمل اوجهاً :-

١. يحتمل أن يكون كل واحد منهما عائداً إلى الشمس ؛ لأنهُ جرى ذكر مالهُ تعلق بها وهو العشي إذ لا للمضمر من جرى ذكر أو دليل ذكر[٣٠].

٢. يحتمل أن يكون كل واحد منهما عائداً إلى الصافنات فقد ذكرت في الآية الَّتي قبلها قوله تعالى : ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ [٣١] أي : حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام[٣٢] .
٣. ويحتمل أن يكون الأول متعلقاً بالشمس والثاني بالصافنات .
٤. يحتمل أن يكون الأول متعلقاً بالصافنات والثاني متعلقاً بالشمس[٣٣] .

وأرى -والله اعلم- أنَّ الوجه الأول هو الأرجح من عود الضمير إلى الشمس في كليهما ؛ لأنَّ ذلك مفهوم من سياق الآية الكريمة .

-ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [٣٤] فإن الضمير في ﴿ عَلَيْهَا﴾ لو تأملناه لوجدنا أنه يعود إلى أوجه وقد لا يسبق ذكر العائد ومن هذه الأوجهُ :-

١. الضمير يعود إلى الأرض وهي معلومة وإن لم تكن مذكورة قال تعالى : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ وعلى هذا فلهُ ترتيب في غاية الحسن ، وذلك لأنهُ تعالى لما قال : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ﴾ أشار إلى أنَّ كل أحدٍ يعرف ويجزم بأنَّهُ إذا كان في البحر فروحهُ وجسمهُ وحاله في قبضة الله تعالى فإذا خرج إلى البر ونظر إلى الثبات الذي للأرض والتمكن الذي له فيها ينسى أمره فذكره . وقال لا فرق بين الحالتين بالنسبة إلى قدرة الله تعالى وكل من على وجه الأرض فإنه كمن على وجه الماء[٣٥] .
٢. إنَّ الضمير عائد إلى الجارية إلا أنه بضرورة ما قبلها كأنَّهُ تعالى قال الجواري ولا شك في أنَّ كل من فيها إلى الثناء أقرب فكيف يمكنهُ إنكار كونه في ملك الله تعالى وهو لا يملك لنفسه في تلك الحالة نفعاً ولا ضراً[٣٦] .

ولعل سياق الآية يشير إلى الرأي الأول ، إي : أن الضمير في ﴿ عَلَيْهَا﴾ عائد على الأرض ؛ لأنَّ (من) هي مختصة بالعقلاء وكل ما على وجه الأرض مع الأرض فان ، وأختصاص العقلاء دون غيرهم ؛ لأنهم هم المقصودين بالتخويف فخصهُ تعالى بالذكر –والله أعلم- .

-ومن مشكلات عود الضمير في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ [٣٧] فالضمير في قوله ﴿ نَفْسِهِ﴾ عائد على (موسى) وهو وإن تأخر لفظاً إلا أنَّه في نية التقديم على الفاعل ومثل ذلك : ضرب غلامه [٣٨] زيدٌ .

وسر هذا التأخير للفاعل المتقدم في الرتبة هو لمراعاة الفواصل[39] وعود هذا الضمير جائز في اللغة وهو مما لا مشكل فيه أما المشكل
فقول الشاعر :

جزى ربه عَنِّي عَدِيَّ بنَ حاتم   جزاءَ الكلاب العاويات وقد فعل[٤٠]

إذ أعاد الضمير من الفاعل المتقدم على المفعول المتأخر إي : أن الضمير عائد على متأخر لفظ ورتبة . وهذا التقديم شاذ عند النحاة وذهب ابن جني وجماعة[٤١] إلى أنه سائغ لا شذوذ فيه لكثرة وقوعه في العربية .

ويرى ابن هشام أنه جائز في الشعر فقط [٤٢].

-ومن مسائل عود الضمير على أوجه عدة قوله تعالى : ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [٤٣] .

فالضمير في ﴿ فِيهَا ﴾ يعود إلى أوجه وهذه الأوجه قد تكون مرادة ومطلوبة عند الله تعالى وما ذاك إلا ليحدث نوعاً من لتوسع في المعنى في هذه الآية ومن الأوجه .

١. الضمير يعود للحياة الدنيا ، وإن لم يجر للدنيا ذكر ، وهذا قول ابن عباس ، ويمكن أن يعود الضمير إليها ؛ لأنَّ الفعل دل على أنَّ موضع التقصير ليس لدنيا فحسن عود الضمير إليها لهذا المعنى[٤٤] .

٢. الضمير يعود للساعة على معنى يا حسرتنا على ما فرطنا في الساعة أو في شأنها وفي الإيمان بها كما تقول : فرطت في فلان ، ومنه فرطت في جنب الله [٤٥] .
٣. أن تعود الكناية إلى معنى ما في قوله : ﴿ مَا فَرَّطْنَا ﴾ ؛ أي : حسرتنا على الأعمال والطاعات التي فرطنا فيها[٤٦] .
٤. الضمير في ﴿ فِيهَا ﴾ عائد إلى الصفقة وذلك أنهم لما تبينَّ لهم خسران صفقتهم ببيعهم الإيمان بالكفر والآخرة بالدنيا ، وترك ذكرها لدلالة الكلام عليها ؛ لأنَّ الخسران لا يكون إلا في صفقة بيع وهذا ما ذهب إليه الطبري [٤٧] .

ويحتمل أن يعود الضمير لكل ما ذكر ليتحقق التوسع في المعنى في هذه الآية الكريمة ليثبت ذلك على أنَّ القرآن الكريم من إسلوبه وبلاغتهِ أنَّ اللفظ أو الضمير يعود لأكثر من عائد وكلها مطلوبة ومراده –والله أعلم- .

سادساً : توحيد الضمير وجمعه

-ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [٤٨]فوحد الضمير في ﴿ ذَلِكَ ﴾ مع أنه خطاب لجماعة وهذا جائز في اللغة والتثنية أيضاً جائزة ، والقرآن الكريم نزل باللغتين جميعاً قال تعالى : ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [٤٩] وقال : ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [٥٠] وقال : ﴿ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [٥١] وقال : ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ [52]

وقوله : ﴿ ذَلِكَ ﴾ ولم يقل (ذلكم) ؛ لأنه محمول على معنى الجمع مثل قوله : ﴿ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ أي : ما لكم فيه من الصلاح : ﴿وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك[٥٣] ويرى بعضهم[٥٤] انه يجوز أن يكون الخطاب في ﴿ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ﴾ لرسول الله ﷺ ولكل واحدٍ ونحوه ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ[٥٥]﴾ .

-ومن ذلك نرى أنه تعالى أفرد الضمير في ﴿ظِلالُهُ﴾ في قولِهِ : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [٥٦] وقوله ﴿ظِلالُهُ﴾ من أضافة الظلال إلى المفرد ، ومعناه الإضافة إلى ذوي الظلال وإنما حسن هذا ، لأنَّ الذي عاد إليه الضمير وإن كان واحداً في اللفظ وهو قوله : ﴿ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ ﴾ إلا إنه كثير المعنى. ونظيرهُ قوله تعالى : ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ فأضاف الظهور وهو الجمع إلى ضمير مفرد ، لأنهُ يعود إلى واحد أريد به الكثرة وهو قوله ﴿ مَا تَرْكَبُونَ﴾ .

إذن فإفراد الضمير في ظلالهِ ؛ لأنَّه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل [٥٧] .

-وقد يأتي في القرآن الكريم بضمير مفرد وهو راجع إلى اثنين أو أكثر من ذلك قوله تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [58] فالخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم وإنما وحد الضمير في قوله ﴿ يُرْضُوه﴾ ولم يقل (يرضوهما) فقد تقدم ذكر الله تعالى وذكر الرسول فقال ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ وذلك لأوجه عدة :-

١. لما وجب أن يكون رضا الرسول مطابقاً لرضا الله تعالى وامتنع حصول المخالفة بينهما وقع الاكتفاء بذكر أحدهما لما يقال : إحسان زيد وإجماله نعشني وجبرني .
٢. كأنَّ التقدير : والله أحق أن يرضوه ورسولهِ كذلك[٥٩] .
٣. أنَّهُ تعالى لا يذكر مع غيره بالذكر المحمل ، بل يجب أن يفرد بالذكر تعظيماً له .
٤. أنَّ المقصود بجميع الطاعات والعبادات هو الله ، فاقتصر على ذكره ويروى أنَّ واحداً من الكفار رفع صوته . وقال : إني أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمدٍ ؛ فسمع الرسول ﷺ وقال : ((وضع الحق في أهله)) .

٥. يجوز أن يكون المراد يرضوهما فاكتفى بذكر الواحد كقوله :
نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف
إن العالم فقال : راضٍ ولم يقل : راضون بالأسرار الضمائر هو الله تعالى ، وإخلاص القلب لا يعلمه إلا الله فلهذا السبب خص تعالى نفسه بالذكر[٦٠].
-وقد يأتي بضمير الجمع ويعبر عن الواحد في قوله تعالى : ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [61] فقد عبر عن فرعون وهو فرد واحد بضمير الجمع فقال : ﴿ وَمَلَإِهِمْ﴾ ولم يقل (وملأه) ومجيء هذا الضمير بهذه الصيغة لوجوه :-

١. إنما جمع الضمير في ﴿مَلَإِهِمْ﴾ ؛ لأنهُ إخبار عن جبار ، والجبار يخبر عنه بلفظ الجمع وهذا ما يراه مكي القيسي[٦٢].
٢. أن فرعون لما ذُكر علم أن معه غَيرهُ ، فَعاد الضمير عليه وعليهم ، وهذا أحد قولي الفراء[٦٣] .
٣. أن تكون الجماعة سميت بفرعون مثل ثمود[٦٤].
٤. أن يكون التقدير : على خوف من آل فرعون فيكون من باب حذف المضاف مثل : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [٦٥]وهذا القول الثاني للفراء[٦٦] وهذا الجواب على مذهب سيبويه والخليل خطأ ، لا يجوز عندهما : قامت هند وأنت تريد غلامها[٦٧].
٥. أن يكون الضمير يعود على الذرية ، أي : ملأ الذرية وهذا ما يراه الأخفش الأوسط[٦٨].
٦. أن يكون الضمير عائداً على ﴿ قَوْمِهِ﴾ المتقدم ذكره في الآية نفسها وهذا ما رجحهُ النحاس[٦٩] .

ولعله الوجه السادس هو الوجه الأبين والأبلغ والأنسب للسياق -والله أعلم- .

-وهناك في القرآن الكريم نجد أن الضمير مثنى راجع إلى الجمع من ذلك قوله تعالى : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ()يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنْتَصِرَانِ﴾[٧٠].
فالخطاب موجه إلى المعشر والمعشر الجماعة والكثرة فكيف بعدها ثنى الضمير في قوله : ﴿عَلَيْكُمَا﴾ مع أنه جمع قبله وسبق بقوله أيضاً ﴿ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ بالجمع والخطاب مع الطائفتين الأنس والجن .
كما أنه جاء بضمير التشبيه فقال : ﴿ فَلا تَنْتَصِرَانِ﴾ وقال من قبل بصيغة الجمع ﴿ لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ .
التثنيه هنا في ﴿عَلَيْكُمَا﴾ وفي ﴿ تَنْتَصِرَانِ﴾ للفظ والجمع على المعنى[71] ويفصل الإمام الرازي في هذه المسألة ويظهر لنا لطيفة فيقول : (فيه لطيفة وهي أنَّ قوله : ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ لبيان عجزهم وعظمة ملك الله تعالى ، فقال : أن استطعتم أن تنفذوا باجتماعكم وقوتكم فانفذوا، ولا تستطيعون لعجزكم فقد بان عند اجتماعكم واعتضادكم بعضكم ببعض فهو عند افتراقكم أظهر ، فهو خطاب عام مع كل واحد عند الانضمام إلى جميع من عداه من الأعوان والإخوان ، وإما قوله تعالى ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ فهو بيان الإرسال على النوعين لا على كل واحد منهما ؛ لأن جميع الأنس والجن لا يرسل عليهم العذاب والنار ، فهو يرسل على النوعين ويتخلص منه بعض منهما بفضل الله ولا يخرج أحد من الأقطار أصلاً ....
الجواب الثاني : من حيث اللفظ ، هو أنَّ الخطاب مع المعشر فقوله : ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ أيها المعشر وقوله : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ ليس خطاباً مع النداء بل هو خطاب مع الحاضرين وهما نوعان وليس الكلام مذكوراً بحرف واو العطف حتى يكون النوعان مناديين في الأول وعند عدم التصريح بالنداء فالتثنية أولى كقوله

تعالى : ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ وهذا يتأيد بقوله تعالى : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ﴾ وحيث صرح بالنداء جمع الضمير وقال بعد ذلك : ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا ﴾ حيث لم يصرح بالنداء)[٧٢] .

سابعاً : تذكير الضمير وتأنيثه

وهذا بابٌ عظيم لمن تدبر فيه ، لأنه يدعو إلى التأمل والتدبر لمعرفة سر وقوعه والآحار القارئ فيه إيمّا حيره ، إذ إنه يستلزم معرفة بدروب الكلام وكيفية إخراج المعنى بالشكل الذي يستدعي معه ثقافة لدى القارئ ولنتأمل قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾ [٧٣] فعبر عن الأنعام بقوله ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ ولم يقل (بطونها) والأنعامَ هي مؤنثة ، وذكر العلماء في عود هذا الضمير وجوهاً منها:-

١. أنَّ لفظ الأنعام لفظ مفرد وضع لإفادة الجمع كالرهط والقوم والبقر والنعم فهو بحسب اللفظ لفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد ، وهو التذكير وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره ضمير الجمع وهو التأنيث فلهذا السبب قال هنا ﴿ فِي بُطُونِهِ﴾ . وفي سورة المؤمنين في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾[٧٤].وهذا مذهب سيبويه أنَّ العرب تَخبر عن الأنعام بخبر الواحد فالأنعام تذكر وتؤنث[٧٥] .
٢. قال الفراءُ : (إنَّ النعم والأنعام شيء واحد ، وهما جمعان فرجع التذكير إلى معنى النَّعم إذ كان يؤدي عن الأنعام)[٧٦] . وهذا وارد في اللغة فحكيُ عن العرب : هذا نَعَمٌ وارد ، وحكي أبو عبيد عن الكسائي هذا القول ، وأنشد :- أكُلَّ عام نَعَمٌ تَحْوُونَهُ يُلقِحُهُ قومٌ وتنتجونَهُ[٧٧]
٣. أنَّ المعنى نَقيكم مما في بطون أيّها كان له لبن ؛ لأنه ليست كلها لها لبن وهذا ما حكاهُ أبو عبيد عن أبي عبيدة[٧٨] .
٤. إنَّ المعنى : نسقيكم مما في بطون ما ذَكَرْناه وهذا ما ذهب إليه الكسائي[79]، وهذا شائع في القرآن من ذلك قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ [٨٠]يعنى : هذا الشيء الطالع ربي ، وقال : ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ()فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [٨١]إي : ذكر هذا الشيء لكنَّ يرد على ذلك بان هذا يجوز فيما يكون تأنيثَهَ غير حقيقي ، أما الذي يكون تأنيثهُ حقيقاً فلا يجوز لأنه غير مستقيم في الكلام أن يقال : جاريتك ذهب ، ولا غلامك ذهبت على تقدير أن حملهُ على النسمة[٨٢].
٥. أنَّ الهاء تعود على واحد ﴿ الْأَنْعَامِ﴾ وواحدها (نَعَم) والنَّعم مذكر (والنعَمُ) واحد الأنعام ، والعرب تصرف الضمير إلى الواحد ، وإن كان لفظ الجمع قد تقدم[٨٣] قال الأعشى : فإن تعهدي لامرئ لمّة فإنَّ الحوادث أودى بها[٨٤]

أنَّ الهاء تعود على الذكور خاصة ، وحكي هذا القول عن إسماعيل القاضي ودل ذلك أنَّ اللبَّن للفحل ، فشربُ اللبن من الإناث ، واللبن للفحل فرجع الضمير عليه واستَّدلَّ بهذا على أنَّ اللبن من الرضاع للفحل[٨٥].

وأرى أن التوجيه الأول ينتظم معه المعنى انتظاماً حسناً إذ العبرة بالمعنى وحسن النظم اللذان يتصلان بإرادة تنبيه المخاطب على المقصود وأن كان في الكلام مشكل ؛ لان المخاطب عند ذاك ستأخذه الدهشة مما يؤدي به إلى الانتباه على سياق الكلام والتمعن فيه وهذا ما حصل ههنا - والله أعلم- .

ثامناً : ذكر الضمير وحذفه

أن إجراء المعنى المراد ولا يتأتى إلا لمن عرف بكيفية إخراج مواقعه بالصورة التي ينبغي لها أن تقع وعلى وجهها الصحيح وهذا ما نراهُ عند ذكر الضمير وحذفه فمتى يذكر ومتى يحذف ؟ هذا يعود إلى براعة المنشيء ومعرفته بطرق الكلام وأساليبها .

ومن ذلك نجد أن القرآن الكريم ذكر الضمائر في قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [٨٦] فذكر ﴿ أَأَنْتُمْ ﴾ و ﴿ هُمْ ﴾ وهلا قيل : أأضللتم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل ؟
وتصدى الزمخشري للإجابة على هذا السؤال قائلاً : (ليس السؤال عن العقل ووجوده ؛ لأنه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب ، وإنما هو عن متوليه ، فلا بد من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام ، حتى يعلم أنَّهُ المسؤل عنه)[٨٧].
أما ابن عاشور فقد وجه ذكر هذا الضمير بقوله : (وأضمر بفعل ﴿ أَضْلَلْتُمْ ﴾ عن ضمير المخاطبين المنفصل وبفعل ((ضلوا)) عن ضمير الغائبين المنفصل ليفيد تقديم المسند إليهما على الخبرين الفعليين تقوي الحكم المقرر به لإشعارهم بأنهم لا مناص لهم من الإقرار بأحد الأمرين وأن أحدهم محقق الوقوع لا محالة .
فالمقصود بالتقوية هو معادلة همزة الاستفهام وهو ﴿ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلِ ﴾)[٨٨]
-ومنه قوله تعالى : ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [٨٩]فذكر الضمير ﴿ هُمْ ﴾ فيه فوائد ومزايا ذكرها العلماء فيها :-

١. فائدة الضمير ﴿ هُمْ ﴾ انحصار المستغفرين الأحقاء بالاستغفار دون المصرّين لكمالهم في الاستغفار فكأنهم المختصون به لاستدامتهم وإطنابهم فيه وغيرهم غير مستقر يقال: فلان هو العالم لكماله في العلم كأنهُ تفرد به وهذا ما يراه الزمخشري[90]، وهذا ما يسميه النحاة بضمير الفصل الذي يقع بين المبتدأ والخبر أو ما أصله مبتدأ وخبر[91] وذكر الزمخشري أن فائدة هذا الضمير (الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وإيجاب أنَّ فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيرهِ)[٩٢].
٢. وهناك فائدة أخرى ذكرها الرازي في ذكر هذا الضمير بيَّنها في تفسيرهِ إذ قال : وهي أنَّ اللهَ تعالى لما عطف : ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ على قوله : ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ فلو لم يؤكد معنى الإثبات بكلمة ﴿ هُمْ ﴾ لصلح أن يكون معناه : وبالأسحار قليلاً ما يستغفرون ، تقول : فلان قليلاً ما يؤذي وإلى الناس يحسن قد يفهم أنه قليل الإيذاء قليل الإحسان فإذا قلت قليلاً ما يؤذى ويحسن زوال ذلك الفهم وظهر في معنى قوله : قليل الإيذاء كثير الإحسان)[٩٣].

-ومن ذلك أيضاً نجد أنه ذكر الضمير في موضع وحذف في موضع آخر فذكر الضمير الفصل (هو) في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى()وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [94] وحذفه في الآية التي تليها فقال : ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [٩٥] .
وسر ذلك لأن الضحك والبكاء ربما يتوهم متوهم أنه بفعل الإنسان ، وليس من عمل الله تعالى وحده وفي الإماتة والإحياء وإن كان ذلك التوهم بعيداً ، لكن ربما يقول به الجاهل ، كما قال نمرود حينما حاج إبراهيم الخليل عليه السلام إذ قال : ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ فأكد ذلك بضمير الفصل .
وأما خلق الذكر والأنثى من النطفة فلا يتوهم أحد أن يفعل أحد من الناس فلم يؤكد بالفصل إلا ترى إلى قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ [96]حيث كان الأغنياء عندهم بغير مستند إلى الله تعالى ، وكان في معتقدهم أنَّ ذلك بفعلهم كما قال قارون : ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [٩٧] ولذلك قال : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى[98]﴾لأنهم كانوا يستبعدون أن يكون رب محمد هو ربُ الشعرى فأكد في موضع استبعادهم النسبة إلى الله تعالى الإسناد ولم يؤكد في غيره[٩٩] .
وفي بعض المواضع نجد أن الضمير يحذف وحذفه لغرض وسر لا يمكن أن يتبينهُ إلا من كان له علمٌ وفهم بحقائق اللغة ومكوناتها ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [١٠٠] .
فهنا لم يذكر الهاء في ﴿ وَإِقَامَ﴾ وسبب ذلك أن القاعدة في مصدر الفعل الرباعي على وزن (أفعل) أن يأتي على إفعال ، إن كان صحيح العين ، نحو : أكرم إكراماً ، وأوجد إيجاداً فإن اعتلت عينهُ ، نحو :

أقام ، أعان ، أبان جاء مصدره على إفالة كإقامة ، إعانة وإبانة حذفت عين المصدر وعوض عنها تاء التأنيث والأصل : إقوام ، إعوان وإبيان فنقلت حركة الواو والياء –وهي الفتحة- وإلى الحرف الساكن قبلهما ، ثم حذفتا فراراً من اجتماع الساكنين ويعوض عنها التاء ، وقد تحذف هذه التاء من المصدر إذا أضيف[١٠١].

وقالوا : الخافض وما خفض بمنـزلة الحرف الواحد ، فلذلك أسقطوها في الإضافة[١٠٢] .

تاسعاً : إيثار ضمير على ضمير آخر

هذا لون آخر من ألوان الضمير الذي يستدعي التأمل والتساؤل والوقوف عند حقائقها والتوغل في أعماقها ومن بين ذلك أيضاً نجد في لغة العرب أحياناً يؤثر ضمير على ضمير آخر من حيث استعمالاته وعمله فهناك ضمير يعمل عملاً ثم نجده في موضع يعمل غيره هو مستعمل له وهذا الاستعمال في هذا الموضع يؤدي دوراً وعملاً مقصوداً ومطلوباً وهذا ما نجده في آيات القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١٠٣] .

فمن المعروف عند النحاة أنَّ (ما) تدخل على غير العاقل و ﴿ مَنْ ﴾ تستعمل للعاقل[١٠٤] ولكن نجد أن قوله﴿ فَمِنْهُمْ ﴾ ضمير العقلاء و ﴿ مَنْ ﴾ استعمل في غير العقلاء فالمشي هو للدواب والبهائم .

والسبب في هذا الإيثار أنه تعالى ذكر مالا يعقل مع من يعقل وهم الملائكة والأنس والجن فغلب اللفظ اللائق ممن يعقل ؛ لأنَّ جعل الشريف أصلاً والخسيس تبعاً أولى من العكس[١٠٥] .

وتغليب العاقل على مالا يعقل ، لأنهُ المخاطب والمُتَعَّبدُ[١٠٦].

ويجيب الفراء على هذا الإيثار بقوله : لما قال : ((﴿ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ فدخل فيهم الناس كنى عنهم فقال : ﴿ فَمِنْهُمْ﴾ لمخالطتهم الناس ، ثم فَسَّرهم ممن لما كنى عنهم كناية الناس خاصّة ، وأنت قائل في الكلام : من هذان المقبلان لرجل ودابتهِ أو رجل وبعيرهُ . فقوله بمن وبما لاختلاطهما ، ألا ترى أنك تقول : الرجل وأباعره مقبلون فكأنهم ناس إذا قلت : مقبلون))[١٠٧] . ويحتمل أن تكون من نكرة موصوفة بالجملة بعدها : والتقدير : فمنهم نوع يمشي على بطنه ، ونوع يمشي على رجلين ونوع يمشي على أربع على حدِ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾[١٠٨] .

-ومن ذلك قوله تعالى : ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾[١٠٩] فجاء بضمير الخطاب ﴿بِرَبِّكُمْ ﴾ ولم يأتِ بضمير المتكلم فلم يقل (بربي) مثل قوله قبل هذه الآية : ﴿وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١١٠] بضمير المتكلم وتوجيه ذلك أن الخطاب مع الرسل أمر ظاهر ؛ لأنه لما قال : ﴿إِنِّي آمَنْتُ﴾ ظهر عند الرسل أنَّهُ قبل قولهم وآمن بالرب الذي دعوه إليه ولو قال : (بربي) لعلهم كانوا يقولون كل كافر يقول لي رب وأنا مؤمن بربي ، وأما على قولنا الخطاب مع الكفار ففيه بيان للتوحيد وذلك لأنه لما قال : ﴿ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ ثم قال : ﴿آمَنْتُ بِرَبِّكُم﴾ فهم أنه يقول : ربي وربكم واحد وهو الذي فطرني وهو بعينه ربكم ، بخلاف ما قال : (آمنت بربي) فيقول الكافر وأنا أيضاً آمنت بربي[١١١] ، ومثل هذا قوله تعالى : ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾[١١٢] .

وذهب إلى ذلك أستاذنا الدكتور فاضل السامرائي في توجيه هذا الإيثار إذ قال : (وقوله ﴿بِرَبِّكُمْ ﴾ دون (بربي) مع أنَّه قال قبلها : ﴿وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ لبين أن ربهم هو ربه وهو الذي فطره وإليه يرجعون فهو ربه وربهم ، وقيل إن الخطاب بقوله : ﴿بِرَبِّكُمْ ﴾ للرسل ، أي : أمنت بربكم الذي تدعون إليه والحق أنَّ الخطاب للجميع فرب الرسل هو ربه ورب قومه وهو قد أعلن ذلك على الملأ وطلب من قومه أتباع الرسل والإيمان بما يدعوه إليه ...

قيل وقوله : ﴿آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أولى من قوله (آمنت بربي) ؛ لأنَّ كل شخص إنما هو مؤمن بربهِ فيقول له المقابل : وأنا آمنت بربي أيضاً[113]) .

الخاتمة والنتائج :

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فان الإبحار في القرآن الكريم وموضوعاته وتحليلها وأدراك إسرار بنائها لا يتأتى إلاّ لمن فتق الله علمه وألهمه رشده ؛ لأنَّ تلك الأسرار العظيمة قد أخذت أشكالا يصعب على المارّ سريعاً أن يدركها ، إذ المعنى المراد يحتاج إلى إعمال الفكر وطول تدبر في آيات القرآن الكريم، وعليه –فبعد التوكل على الله- قد أخذنا أمرنا ورحنا نجول في موضوع "الضمير" لنجده مشكلاً يصعب على القارئ أن يعلم بإسرار وضع بعض الضمائر في القرآن الكريم أن نبين أسرار بعض من هذا الموضوع . فعقد العزم على بيان أسرار هذا الموضوع فخرج الموضوع على الوجه المطلوب بتوفيق الله ﷻ وقد توصلنا إلى نتائج جمّة نوجزها بالآتي :-

١. القياس يستلزم أن يعطف الظاهر على الضمير دفعاً لإنكار المنكرين ، ولا سيما إذا كان هذا الإنكار واقعاً من متجرئ على الله ومكابر كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرىً وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ .
٢. في باب توكيد الضميرين نجد أن القرآن الكريم قد أخذ إشكالاً يستدعي معها التأمل العميق لآياته إذ المعنى المقصود ثابت في النفس –لاشك فيه- ولكن تأتي صيغة أخرى لتقرره وتثبته في النفوس كقوله تعالى : ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ فنجد أن السحرة قد عدلوا عن مقابلة خطابهم لموسى بمثله إلى توكيد ما هو لهم بقولهم : ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ فدل هذا القول على رغبتهم في الإلقاء قبل موسى .
٣. يكثر وضع الظاهر موضع المضمر وبالعكس في القرآن الكريم كثرة يلحظها المتتبع للأساليب القرآنية ، وذلك مقام ذكر الكفار والظالمين ومجترحي السيآت إظهاراً للغضب عليهم والتنويه بذمهم وتهجين أحوالهم كقوله تعالى : ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ انظر كيف قال ﴿ وَقَالَ الْكَافِرُونَ ﴾ ولم يقل : قالوا ليقابل : عجبوا .
٤. إن الالتفات متأتٍ لإيقاظ النفس وتحريكها وهو من أهم أغراض الكلام البليغ ، وكذلك فان خصائص الصياغة تستلزم إحداث لون من التأثير في الملتقي وهذا ما يحرص عليه المتكلم ، وأن إثارة النفس لا يتأتى إلاّ باتباع الأساليب البلاغية التي تمكن المتكلم من تحريك أوتار النفس وتنبيه الغافل .
٥. الضمير في إحدى صفاته هو مبين لما يراد به ، فان كان لمتكلم أو لمخاطب فمفسره حضور من هو له ، وأن كان لغائب فمفسّره لفظ أو غيره ولكن القرآن الكريم جاء بما يُشعر بعود الضمير على غير ما سبق كقوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ فالضمير في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ عائد على متقدم . وهذا سر من أسرار الذكر الحكيم توحي بالنباهة في الاستغناء عن التصريح .

٦. قد يعود الضمير على متأخر لفظاً المتقدم رتبة كقوله تعالى : ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ فموسى وإن كان متأخر لفظاً إلاّ أنه ((فاعل)) متقدم في الرتبة ، وهذا جائز في العربية كثير وقوعه فيها .

٧. توحيد الضمير وجمعه مما يستدعي الوقوف عليه كثيراً والتأمل فيه ؛ فلو نظرنا إلى قوله تعالى : ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:٢٣٢) قال ﴿ ذَلِكَ ﴾ ولم يقل (ذلكم) فوحد الضمير مع أن الخطاب لجماعة وهذا مما لا تجده إلا في القرآن الكريم .

٨. إما تثنية الضمير والخطاب لجماعة فهذا سر عظيم ينبغي أن نقف عليه كقوله تعالى : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ()يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنْتَصِرَانِ﴾ فالخطاب موجه إلى ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ ﴾ وهم كثرة وجماعة فكيف ثنى بعدما بقوله ﴿ عَلَيْكُمَا ﴾ مع أنه قال :﴿ اسْتَطَعْتُمْ ﴾ قبله بالجمع نقول : لو تأمل المتدبر لوجد أن الخطاب لطائفتين الأنس والجن وعليه فالتثنية في ﴿ تَنْتَصِرَانِ﴾ للفظ وجمعها على المعنى .

٩. تذكير الضمير وتأنيثه وهذا أيضاً نجده قد أشكل على كثير من العلماء إذ معرفته تستدعي معرفةً بدروب الكلام وطرقه حتى يخرج الكلام على المعنى المراد كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾ فعبر عن الأنعام بقوله ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ ولم يقل (بطونها) والأنعام مؤنثة وأجاب سيبويه بقوله : وأن العرب تخبر عن الأنعام بخبر الواحد والأنعام تذكر وتؤنث ، وأشار الفراء إلى جواز هذه اللغة حيث نقلت عن العرب : هذا نعم وارد ، فعلى القارئ هنا أن يكون على دراية بكلام العرب وطرق إخراج الكلام لكي لا يقع في حيرة من أمره .

١٠. والضمير قد يذكر وقد يحذف بحسب براعة المنشيء وقدرته على إدارة الكلام ومعرفته بأساليب العرب في بلاغتها فمثلاً تعالى يذكر الضمير في : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى()وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ حينما لا نجد له ذكراً في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ فربما يقول جاهل لَم لم يذكر الضمير هاهنا ؟ لان خلق الذكر والأنثى من النطفة بفعل الله تعالى أمّا ذكر الضمير في الأولى فقد يتوهم متوهم أن الضحك والبكاء من عمل الإنسان لذا لم يذكر الضمير في الثانية بينما في الآية الأولى والله تعالى أعلم .

١١. وقد يؤثر ضمير على ضمير من يستدعي التأمل والتوغل في حقيقة سر البناء الذي أسس عليه الكلام كقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ فما لغير العاقل ومن للعاقل والسبب في ذلك الإيثار أنه تعالى ذكر مالا يعقل مع من يعقل فغلب اللفظ على العاقل لأنه الشريف أصل والخسيس تبع له .

وبعد فان النتائج المرجوة من هذا البحث يصلح كل منها منفرداً أن يكون بحثاً خاصاً ولكننا اردنا أن نخرج هذا الموضوع بالشكل الذي يغني القارئ عن غيره ، والله تعالى اسأل أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا أنه ولي التوفيق .

وَآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الـهوامش

١- سورة العنكبوت آية ١٩-٢٠.

٢-ينظر : التفسير الكبير للرازي : ٤٧/٢٥ .
٣- ينظر التفسير الكبير للرازي : ٤٧/٢٥ .
٤- سورة فصلت آيه ٥٣ .
5 - سورة العنكبوت آيه ٢٠ .
٦- المثل السائر لابن الأثير : ١٥٧/٢-١٥٨ ، ينظر : إعراب القران الكريم وبيانه لدرويش : ٦٨٥/٢٠ .
٧- سورة سبأ آية : ٤٣ .
٨-ينظر الكشاف للزمخشري : ٥٨٨/٣ ، المثل السائر لأبن الأثير : ١٥٨/٢ ، إعراب القرآن الكريم وبيانه لدرويش : ٦/.٢٥١
9 - ينظر : التفسير الكبير للرازي : ٨٤/٢٢ ، إعراب القرآن الكريم وبيانهُ لدرويش : ٧٠٠/١٦ .
10 -سورة آل عمران آيه : ٢٦ .
١١-المثل السائر لابن الأثير ١٤٥/٢ .
١٢- سورة الأعراف آية : ١١٥ .
١٣- الكشاف للزمخشري : ١٤٠/٢ ، المثل السائر لابن الأثير : ١٥١/٢-١٥٢ .
١٤-سورة صّ آيه : ٤ .
١٥-سورة النساء آية : ١٥١ .
١٦-الكشاف للزمخشري : ٧٢/٤ ، ينظر : تفسير البيضاوي : ٥/.١٥
١٧-سورة القمر آيه : ٢٧ .
١٨-ينظر التفسير الكبير للرازي : ٥٣/٢٩-٥٤ .
١٩-ينظر : مفتاح العلوم للسكاكي : ١٠٦ .
20- ينظر : التفسير الكبير للرازي : ٢٥٢/١ .
21- سورة يونس آية ٢٢ .
٢٢ -الكشاف للزمخشري : ٣٣٨/٢ .
٢٣-ينظر : التفسير الكبير للرازي : ٦٩/١٧ .
٢٤-ينظر: المصدر السابق ، إعراب القرآن الكريم وبيانه لدرويش : ٣٢١/١١ .
25- سورة القدر آية : ١ .
٢٦-ينظر : همع الهوامع للسيوطي : ٦٥/١ ، معاني النحو للسامرائي : ٦٧/١ .
27- ينظر : الكشاف للزمخشري : ٧٨٠/٤ ، التفسير الكبير للرازي : ٢٧/٣٢ .
28- سورة ص آية : ٣٢ .
29- سورة ص آية : ٣٣ .
30 -ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٩٥/١٥ .
٣١-سورة ص آية : ٣١ .
32- ينظر : الكشاف للزمخشري : ٩٣/٤ .
33- ينظر : التفسير الكبير للرزاي : ٢٠٤/٢٦ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٩٥/١٥ .
٣٤-سورة الرحمن آية : ٢٦ .
٣٥-ينظر :التفسير الكبير للرازي : ١٠٤/٢٩.
36- ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ١٠٧٦ ، التفسير الكبير للرازي : ١٠٤/٢٩ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٩٤/١٧ .
٣٧-سورة طه آية ٦٧ .

٣٨-ينظر :شرح ابن عقيل : ١٠٥/١ ، أوضح المسالك لابن هشام : ٨٧ ، شفاء العليل للسلسيلي ٢٠١/١ .
39- ينظر : تفسير أبي السعود ٢٧/٦ .
40- البيت لأبي الأسود الدؤلي يهجو عدي بن حاتم الطائي ، ينظر : شرح ابن عقيل ١٠٥/١ ن أوضح المسالك لابن هشام : ٨٧.
٤١-ينظر : شرح ابن عقيل : ١٠٨/١، ١٠٩ .
٤٢-ينظر : أوضح المسالك لابن هشام : ٨٧ .
٤٣-سورة الأنعام آية : ٣١ .
44- ينظر : الكشاف للزمخشري : ١٧/٢ ، والتفسير الكبير للرزاي : ١٩٨/١٢ .
٤٥-ينظر : الكشاف للزمخشري : ١٧/٢ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٤١٣/٦ .
٤٦-ينظر التفسير الكبير للرزاي : ١٩٩/١٢ .
٤٧-ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٤١٣/٦ .
٤٨-سورة البقرة آية : ٢٣٢ .
٤٩-سورة يوسف آية : ٣٧ .
٥٠ -سورة يوسف آية : ٣٢ .
٥١ -سورة البقرة آية : ٢٣٢ .
52- سورة الأعراف آية : ٢٢ .
٥٣ -ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٥٩/٣٠ ، والتفسير الكبير للرازي : ١١٥/٦ .
54- ينظر الكشاف للزمخشري : ٢٧٨/١ .
٥٥-سورة المجادلة آية : ١٢ .
56 -سورة النحل آية : ٤٨ .
٥٧ -ينظر : معاني القرآن للفراء : ١٠٢/١ .
٥٨ -سورة التوبة آية : ٦٢ .
٥٩-ينظر : الكشاف للزمخشري : ٢٨٥/١ .
60- ينظر : معاني القرآن للفراء : ٤٤٥/١ ، التفسير الكبير للرازي : ١١٨/٦-١١٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩٤/٨ .
61- سورة : يونس آية : ٨٣ .
٦٢-ينظر : مشكل إعراب القرآن للقيسي : ٣٩٠/١ .
٦٣ -ينظر معاني القرآن للفراء : ٤٧٦/٢ .
٦٤-ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٣٦٩/٨ .
٦٥-سورة يوسف آية : ٨٢ .
٦٦-ينظر : معاني القرآن للفراء : ٤٧٧/٢ ، إعراب القران الكريم وبيانه لدرويش : ٣٦٧/١١ .
٦٧-ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤٠٤ .
٦٨-ينظر : معاني القرآن للأخفش الأوسط : ٣٤٧/٣ .
٦٩-ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤٠٤ .
٧٠-سورة الرحمن آية : ٣٣-٣٥ .
٧١-ينظر معاني القرآن للفراء : ١١٧/٣ .
٧٢-ينظر : التفسير الكبير للرازي : ١١٤/١٩ .
٧٣-سورة النحل آية : ٦٦ .
٧٤-سورة المؤمنين آية : ٢١ .

٧٥-ينظر : مشكل إعراب القرآن للقيسي : ١٧/٢ ، التفسير الكبير للرازي : ٦٤/٢٠ .
76- ينظر معاني القرآن للفراء : ١٠٨/٢ .
٧٧-ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٥٠٤ ، إعراب القرآن الكريم وبيانه لدرويش : ٢٦٧/٤ .
٧٨-ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٥٠٤ .
٧٩-ينظر : مشكل إعراب القران للقيسي : ١٨/٢ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٢٤/١٠ .
80- سورة الأنعام آية : ٧٨ .
81- سورة عبس آية : ١٢/١١ .
82- ينظر : شرح المفصل لابن يعيش : ٩٣/٥ ، التفسير الكبير للرازي : ٦٤/٢٠ .
٨٣-ينظر : معاني القرآن للفراء : ١٢٩/١ .
٨٤-ديوانه : ١٢٠ ، ميزان الادب للبغدادي : ٥٧٨/٤ ، كتاب سيبويه : ٤٦/٢ وروايته فيه فإما تَّري لمتّي بُدّلتْ .
٨٥-ينظر : مشكل إعراب القرآن للقيسي : ١٨/٢ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٢٤/١٠ .
٨٦-سورة الفرقان آية : ١٧ .
٨٧-ينظر الكشاف للزمخشري : ٢٦٨/٣ ، التفسير الكبير للرازي : ٦٢/٢٤ .
٨٨-التحرير والتنوير لابن عاشور : ٣٣٧/١٨
٨٩-سورة الذريات آية : ١٨ .
٩٠-ينظر الكشاف للزمخشري : ٣٩٩/٤ .
91- ينظر : شرح المفصل لابن يعيش : ١١٠/٣ ، مغني اللبيب لابن هشام : ٤٩٦/٢ ، معاني النحو للسامرائي : ٥١/١ .
٩٢-ينظر الكشاف للزمخشري : ٤٦/١ .
٩٣-التفسير الكبير للرازي : ٢٥/٢٨ .
٩٤-سورة النجم آية : ٤٣ ــ٤٤ .
٩٥-سورة النجم آية : ٤٥ .
٩٦-سورة النجم آية ٤٨ .
٩٧-سورة القصص آية : ٧٨ .
٩٨-سورة النجم آية : ٤٩ .
٩٩-ينظر : التفسير الكبير للرازي : ٢٠/٢٩ ، إعراب القرآن الكريم وبيانه لدرويش : ٣٥/٢٧ .
١٠٠-سورة الأنبياء آية : ٧٣ .
١٠١-ينظر : معاني القرآن للفراء :٢٥٤/٢ ، شرح المفصل لابن يعشي : ٥٨/٦ ، إعراب القرآن الكريم وبيانه لدروش : ٥٥/١٧-٥٦ .
١٠٢-ينظر : معاني القرآن للفراء :٢٥٤/٢ .
١٠٣-سورة النور آية : ٤٥ .
١٠٤-ينظر : الجامع لحكام القران للقرطبي : ٢٩٢/١٢
١٠٥-ينظر : المصدر السابق : ٢٩٢/١٢ .
١٠٦-ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٦٥٥ .
١٠٧-ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢٥٧/٣ .
١٠٨-سورة الحج آية : ١١ .
١٠٩-سورة يّس آية : ٢٥ .
١١٠-سورة : يّس آية : ٢٢ .
١١١-ينظر : الكشاف للزمخشري : ١٠/٤ ، التفسير الكبير للرازي : ١٦/٢٦ .

١١٢-سورة الشورى آية : ١٥ .
١١٣-ينظر : على طريق التفسير البياني للسامرائي : ٨٧/٢ .

ثبت المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

١. إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محيي الدين الدرويش ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط٩ ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .
٢. إعراب القرآن ، أبو النحاس أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٢٨هـ) ، اعتنى به خالد العلي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٦م .
٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ(تفسير البيضاوي) ، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي ، مؤسسة شعبان ، بيروت .
٤. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، دار العلوم الحديثة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م .
٥. تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) ، أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٦. تفسير التحرير والتنوير ، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٢٨٤هـ) ، دار سحنون للنشر ، تونس ، ١٩٩٧ .
٧. التفسير الكبير المسمى بـ(مفاتيح الغيب) محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، طهران .
٨. الجامع لأحكام القرآن الشهير بـ(تفسير القرطبي) أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٦٥م .
٩. خزانة الأدب عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) طبعه بولاق ، ١٢٩٩هـ .
١٠. ديوان الأعشى ، شرح محمد محمد حسين ، الطبعة النموذجية ، مصر ، ١٩٥٠م .
١١. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (ت ٧٦٩هـ) ، ط٢ ، مكتبة دار التراث ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .
١٢. شرح المفصل موفق الدين بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ) ، عالم الكتب ، بيروت .
١٣. شفاء العليل في إيضاح التسهيل ، أبو عبد الله محمد بن عيسى السلسيلي (ت ٧٧٠هـ) دراسة وتحقيق : عبد الله علي الحسيني ، المكتبة الفيصلية ، بيروت ، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .
١٤. على طريق التفسير البياني د.فاضل صالح السامرائي ، جامعة الشارقة ، الأمارت ، ط١، ١٤٢٣هـ_٢٠٠٢م .
١٥. كتاب سيبويه ، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ) تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
١٦. الكشاف في حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله محمد بن عمر الزمخشري (ت ٥٢٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
١٧. المثل السائر في أدب الكتاب والشعر ، ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ) ، تحقيق د.أحمد الحوفي ود.بدوي طبانة ، نهضة مصر للطباعة ، ط١ .

نادرا	أحيانا

18. معاني القرآن للأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ) ، تحقيق : د.فائز فارس ، ط١ ، دار الأمل كويت ، ١٤٠١هـ-١٩٨٠م .
19. معاني القرآن للفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠م .
20. معاني النحو د. فاضل صالح السامرائي ، جامعة بغداد ، دار الحكمة ، بغداد ، ١٩٨٩م .
21. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني ، القاهرة .
22. مفتاح العلوم : للسكاكي ، القاهرة ١٩٣٧م .
23. مشكل إعراب القرآن ، مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧) ، تحقيق : ياسين محمد السواس ، دار الكتب الثقافية ، دمشق ، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م .
24. همع الهوامع شرح جمع الجوامع جلال الدين السيوطي (ت ٩٠١هـ) ، ط١ ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٧هـ .